حِلْيَةُ المُصْطَفَى ﷺ

مِنْ كِتَابِ الشِّفَا

شَرُفَ بِجَمْعِهَا

نزار حمادي



حِلْيَةُ المُصْطَفَى ﷺ

مِنْ كِتَابِ الشِّفَا

الكتاب: حِلْيَةُ المُصْطَفَى مِنْ كِتَابِ الشِّفَا

الناشر: دارُ الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

حِلْيَةُ المُصْطَفَى ﷺ

مِنْ كِتَابِ الشِّفَا

شَرُفَ بِجَمْعِهَا

نزار حمـــادي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَسَوَّى خَلْقَهُ وَتَرْتِيبَهُ، وَأَدَّبَ نَبِيَّه مُحَمَّدًا ﷺ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَزَكَّى أَوْصَافَهُ وَأَخْلَاقَهُ ثُمَّ اتَّخَذَهُ صَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، وَوَفَّقَ لِلاقْتِدَاءِ بِهِ مَنْ أَرَادَ تَهْذِيبَهُ.

وَبَعْدُ، فَهَذِهِ الحِلْيَةُ الشَّرِيفَةُ المُحَمَّدِيَّة، مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى خَيْرِ البَرِيَّة، لِلْإِمَامِ القَاضِي الهِمَامِ أَبِي الفَضْلِ عِيَاض، أَسْكَنَهُ اللهُ بِفَضْلِهِ فَرَادِيسَ الجِنَانِ فِي أَعْلَى الرِّيَاض.

بَيَانُ حِلْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ المَرْبُوعِ، وَأَقْصَرَ مِنَ المُشَذَّبِ(١)، عَظِيمَ الهَامَةِ، رَجِلَ الشَّعَرِ(٢)، إِنِ ٱنْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ(٣)، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ(٤)، وَاسِعَ الجَبِينِ، أَزَجَّ الحَوَاجِبِ(٥)،

---

(١) «**المُشَذَّبُ**»: أَيِ البَايِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «لَيْسَ بِالطَّوِيلِ المُمَّغِطِ.

(٢) «**الشَّعَرُ الرَّجِلُ**»: الَّذِي كَأَنَّهُ مُشِطَ فَتَكَسَّرَ قَلِيلًا، لَيْسَ بِسَبِط، وَلَا جَعْدٍ.

(٣) «**العَقِيقَةُ**»: شَعَرُ الرَّأْسِ، أَرَادَ: إِنِ ٱنْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِهَا فَرَقَهَا، وَإِلَّا تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً

(٤) «**أَزْهَرَ اللَّوْنِ**»: نَيِّرُهُ. وَقِيلَ: أَزْهَرُ: حَسَنٌ، وَمِنْهُ: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] أَيْ: زِينَتَهَا. وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «لَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلَا بِالآدَمِ». وَ«الأَمْهَقُ»: هُوَ النَّاصِعُ البَيَاضِ. وَ«الآدَمُ»: الأَسْمَرُ اللَّوْنِ. وَمِثْلُهُ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «أَبْيَضُ مُشْرَبٌ» أَيْ: فِيهِ حُمْرَةٌ.

(٥) «الحَاجِبُ الأَزَجُّ»: المُقَوَّسُ الطَّوِيلُ الوَافِرُ الشَّعَرِ.

سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ[١]، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغَضَبُ.

أَقْنَى العِرْنِينِ[٢]، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ، وَيَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[٣]، كَثَّ اللِّحْيَةِ، أَدْعَجَ[٤]، سَهْلَ الخَدَّيْنِ، ضَلِيعَ الفَمِ[٥]، أَشْنَبَ[٦]، مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ[٧]، دَقِيقَ المَسْرُبَةِ[٨]، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ، فِي صَفَاءِ الفِضَّةِ.

---

(١) «القَرَنُ»: ٱتِّصَالُ شَعَرِ الحَاجِبَيْنِ، وَضِدُّهُ البَلَجُ. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَصْفُهُ بِالقَرَنِ.

(٢) «الأَقْنَى»: السَّائِلُ الأَنْفِ، المُرْتَفِعُ وَسَطُهُ.

(٣) «الأَشَمُّ»: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الأَنْفِ.

(٤) «الأَدْعَجُ»: الشَّدِيدُ سَوَادِ الحَدَقَةِ.

(٥) «الضَّلِيعُ»: الوَاسِعُ.

(٦) «الشَّنَبُ»: رَوْنَقُ الأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا. وَقِيلَ: رِقَّتُهَا، وَتَحْزِيزٌ فِيهَا، كَمَا يُوجَدُ فِي أَسْنَانِ الشَّبَابِ.

(٧) «الفَلَجُ»: فَرْقٌ بَيْنَ الثَّنَايَا.

(٨) المَسْرُبَةُ: خَيْطُ الشَّعَرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ.

مُعْتَدِلَ الخَلْقِ، بَادِنًا[1]، مُتَمَاسِكًا[2]، سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ[3]، مُشِيحَ[4] الصَّدْرِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ[5].

أَنْوَرَ المُتَجَرَّدِ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالخَطِّ، عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ[6]، رَحْبَ

---

(١) «بَادِنٌ»: ذُو لَحْمٍ.

(٢) «مُتَمَاسِكٌ»: مُعْتَدِلُ الخَلْقِ، يُمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «لَمْ يَكُنْ بِالمُطَهَّمِ وَلَا بِالمُكَلْثَمِ»، أَيْ: لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ. «المُكَلْثَمُ»: القَصِيرُ الذَّقَنِ.

(٣) «سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ»: أَيْ مُسْتَوِيهِمَا.

(٤) مِنَ الإِقْبَالِ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي «أَشَاحَ»، أَيْ أَنَّهُ كَانَ بَادِيَ الصَّدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ، وَبِهِ يَصِحُّ قَوْلُهُ قَبْلُ: «**سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ**»، أَيْ: لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ، وَلَا مُفَاضِ البَطْنِ.

(٥) «الكَرَادِيسُ»: رُءُوسُ العِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «جَلِيلَ المُشَاشِ وَالكَتَدِ». «المُشَاشُ»: رُءُوسُ المَنَاكِبِ. «الكَتَدُ»: مُجْتَمَعُ الكَتِفَيْنِ.

(٦) «الزَّنْدَانِ»: عَظْمَا الذِّرَاعِ.

الرَّاحَةِ[1]، شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الأَطْرَافِ[2]، سَبْطَ العَصَبِ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ[3]، مَسِيحَ القَدَمَيْنِ[4] يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ.

إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعًا[5]، وَيَخْطُو تَكَفُّؤًا[6]، وَيَمْشِي هَوْنًا[7]، ذَرِيعَ المِشْيَةِ[8]، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا ٱلْتَفَتَ ٱلْتَفَتَ جَمِيعًا.

---

(١) «رَحْبَ الرَّاحَةِ»: أَيْ وَاسِعُهَا. وَقِيلَ: كِنَايَةٌ عَنْ سَعَةِ العَطَاءِ وَالجُودِ.

(٢) أَيْ: طَوِيلَ الأَصَابِعِ. وَأَمَّا عَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «سَايِرَ الأَطْرَافِ» فَإِشَارَةٌ إِلَى فَخَامَةِ جَوَارِحِهِ

(٣) «خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ»: أَيْ مُتَجَافِي أَخْمَصِ القَدَمِ، وَهُوَ المَوْضِعُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ الأَرْضُ مِنْ وَسَطِ القَدَمِ.

(٤) «مَسِيحَ القَدَمَيْنِ»: أَيْ أَمْلَسُهُمَا، وَلِذَلِكَ قَالَ: «يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ».

(٥) «التَّقَلُّعُ»: هُوَ رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ.

(٦) «التَّكَفُّؤُ»: المَيْلُ إِلَى سَنَنِ المَشْيِ وَقَصْدِهِ.

(٧) «الهَوْنُ»: الرِّفْقُ وَالوَقَارُ.

(٨) «الذَّرِيعُ»: الوَاسِعُ الخَطْوِ، أَيْ إِنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَيَمُدُّ خَطْوَهُ، خِلَافَ مِشْيَةِ المُخْتَالِ، وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ، كَمَا قَالَ: «كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ».

خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ المُلَاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ[1]، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ.

(١) أي: يَمْشِي خَلْفَ أَصْحَابِهِ تَوَاضُعًا.

بَيَانُ مَنْطِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ، دَائِمَ الفِكْرَةِ[١]، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السُّكُوتِ، يَفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ[٢]، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ فَصْلًا، لَا فُضُولَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ، دَمِثًا، لَيْسَ بِالجَافِي وَلَا المَهِينِ.

يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ شَيْئًا، لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا يُقَامُ لِغَضَبِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ ٱتَّصَلَ بِهَا، فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ اليُمْنَى رَاحَتَهُ اليُسْرَى، وَإِذَا

---

(١) أي: في أمُورِ الآخِرَة.

(٢) «يَفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ»: أَيْ لِسَعَةِ فَمِهِ، وَالعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِهَذَا، وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الفَمِ.

غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ[1]، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الغَمَامِ[2].

---

(١) «أَشَاحَ»: مَالَ وَٱنْقَبَضَ.

(٢) «حَبُّ الغَمَامِ»: البَرَدُ.

بَيَانُ مَدْخَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: فَجُزْءًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى العَامَّةِ بِالخَاصَّةِ[١]، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا.

فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الفَضْلِ بِإِذْنِهِ، وَقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، مِنْهُمْ ذُو الحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ، وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ، وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي حَاجَتَهُ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ**

---

(١) قَوْلُهُ: «فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالخَاصَّةِ عَلَى العَامَّةِ»، أَيْ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوَصِّلُ الخَاصَّةَ إِلَيْهِ، فَتُوَصِّلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ. وَقِيلَ: يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ، ثُمَّ يُبْدِلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالعَامَّةِ.

القِيَامَةِ». لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ.

بَيَانُ مَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا مِمَّا يَعْنِيهِمْ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ.

وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ، وَيُقَبِّحُ القَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ، مُعْتَدِلَ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، لَا يُقَصِّرُ عَنِ الحَقِّ، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَحْسَنُهُمْ(١) نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً.

---

(١) خ: أَعَمُّهُمْ.

بَيَانُ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَلَا يُوطِنُ الأَمَاكِنَ(١)، وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا، وَإِذَا ٱنْتَهَى إِلَى القَوْمِ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لَا يَحْسِبَ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ.

مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ(٢) حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُنْصَرِفَ عَنْهُ، مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الحَقِّ مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى.

مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ، وَحَيَاءٍ، وَصَبْرٍ، وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ

---

(١) «لَا يُوطِنُ الأَمَاكِنَ» أَيْ: لَا يَتَّخِذُ لِلصَّلَاةِ مَوْضِعًا مَعْلُومًا. وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الحَدِيثِ.

(٢) «صَابَرَهُ»: أَيْ: حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ.

فِيهِ الأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ[1]، وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ[2]، يَتَعَاطَفُونَ[3] بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ، يُوَقِّرُونَ الكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ، وَيَرْفِدُونَ ذَا الحَاجَةِ[4]، وَيَحْفَظُونَ[5] الغَرِيبَ.

---

(١) «لَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ»: أَيْ: لَا يُذْكَرْنَ بِسُوءٍ.

(٢) «لَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ»: أَيْ: يُتَحَدَّثُ بِهَا، أَيْ: لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَحَدٍ سُتِرَتْ.

(٣) خ: + فِيهِ.

(٤) «يَرْفِدُونَ»: يُعِينُونَ.

(٥) خ ـ ق: وَيَرْحَمُونَ. خ: وَيُؤْثِرُونَ.

بَيَانُ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ، لَيِّنَ الجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ[1] وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ[1]، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤيِسُ مِنْهُ.

قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الرِّيَاءِ، وَالإِكْثَارِ، وَمَا لَا يَعْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا وَلَا يُعَيِّرُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ.

إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، إِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الحَدِيثَ.

مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِيَّتِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُونَ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الجَفْوَةِ فِي المَنْطِقِ، وَيَقُولُ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ**

---

(١) «السَّخَّابُ»: الكَثِيرُ الصِّيَاحِ.

صَاحِبَ الحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَٱرْفِدُوهُ»، وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ[2]، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَهُ[3] فَيَقْطَعُهُ بِٱنْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ.

---

(١) ق: مَزَّاحٍ.

(٢) «وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ» قِيلَ: مُقْتَصِدٍ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِه، وَقِيلَ: إِلَّا مِنْ مُسْلِمٍ، وَقِيلَ: إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ عَلَى يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ.

(٣) خ: يَجُوزَ.

بَيَانُ سُكُوتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الحِلْمِ، وَالحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ.

فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَٱلْاسْتِمَاعِ مِنَ[1] النَّاسِ، وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى.

وَجُمِعَ لَهُ الحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ[2]، وَجُمِعَ لَهُ فِي الحَذَرِ أَرْبَعٌ[3]: أَخْذُهُ بِالحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكُهُ القَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ، وَٱجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالقِيَامُ لَهُمْ بِمَا جَمَعَ لَهُمْ[4] أَمْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) خ: بَيْنَ.

(٢) «يَسْتَفِزُّهُ»: يَسْتَخِفُّهُ.

(٣) خ: الحَذَرُ فِي أَرْبَعٍ.

(٤) خ: + مِنْ.

فهرس


دار الإمام ابن عرفة
تونس